

الإلحاد وصوره وطرق نشره وعلاجه في المنظور القرآني، رؤية معاصرة

Atheism, its Forms, Methods of Propagation, and its Remedy from a Quranic Perspective: A Contemporary Vision.ط.د. محمد العربي كشتوم^{1*}، د. رابح دفرور²¹ جامعة أحمد دراية (أدرار)، Medelarabi@univ-adrar.dz² جامعة أحمد دراية (أدرار)، rab.defroure@univ-adrar.dz

تاريخ الاستلام: 2025/01/27 تاريخ القبول: 2025/03/24 تاريخ النشر: 2025/03/30

ملخص:

الإلحاد المعاصر بإنكار وجود الله ظاهرة خطيرة تهدد المجتمعات، انبثقت بقوة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وأخذت كل الوسائل في نشرها، ما يتطلب منا الوقوف بحزم والتصدي لها. وقد حاولت من خلال هذا البحث أن أتناول هذه الظاهرة وفق المنظور القرآني. فخلصت إلى أن القرآن الكريم ذكر ثلاثة أصناف من الملحد: فرعون والنمرود والدهرية. وقد ذكر طريقة فرعون في نشر الإلحاد بالقوة واستخفاف العقول وهي نفس طريقة المعاصرين. واستدل القرآن على وجود الله بدليل الفطرة والدليل العقلي. وهدى في علاج هذه الظاهرة بالوقاية منه أولاً بالتحصين المعرفي والحذر من الشبهات، ثم بمحاورة ونقد الإلحاد ويكون ذلك بالتعاون وتضافر الجهود من مختلف التخصصات، وبالبراهين والأدلة، مع استعمال اللين والحكمة، ودوام اللجوء إلى الله والاستعانة به. كلمات مفتاحية: إلحاد؛ قرآن؛ شبهات؛ دليل؛ علاج.

Abstract: Contemporary atheism poses a threat to societies and gained momentum after the events of September 11 through various methods. This research addresses the issue from a Qur'anic perspective, identifying three categories: Pharaoh, Nimrod, and materialism (Dahriyyah). It discusses the spread of atheism through force and manipulation of minds, reflecting modern atheistic approaches. The study provides evidence for the existence of God through innate disposition (fitrah) and rational arguments.



To counter atheism, the Qur'an emphasizes prevention through intellectual immunity, caution against doubts, and fostering dialogue based on evidence and reason. It calls for collective efforts that require wisdom, gentleness, and reliance on God for effective confrontation.

Keywords: Atheism, Quran, Doubts, Evidence, Treatment

مقدمة:

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر انبعثت ظاهرة الإلحاد من جديد متخذة من الأخطاء الفردية التي لا تمت للإسلام بصلة غطاء لمهاجمة الأديان، وأضحت خطراً يهدد المجتمعات. ولما صار العالم كالقرية الصغيرة ومع سهولة التواصل لم تعد الأمة الإسلامية بمنأى عن هذا الخطر الداهم، بل إنه حسب دراسات أجريت قد اجتاحت أراضيها وغزا شبابها، حتى غدا حديث كثير من الشباب حول مسائل تضرب العقيدة في الصميم، وما كان بالأمر من المسلمات صار اليوم يوضع على مائدة النقاش.

فنحن اليوم أمام ظاهرة خطيرة تحتاج منا إلى التصدي لها وإيجاد الحل المناسب ومعالجتها بكل جد وحزم. ولما كان القرآن العظيم هو الحصن الحصين والملاذ الأيمن للمسلم عند حدوث مثل هذه المدلهمات، وامتنالاً لقوله تعالى: {وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا} حاولت من خلال هذه الورقة أن أكشف عن طريقة تناول القرآن العظيم لهذه الظاهرة وكيفية علاجه لها. وذلك من خلال دراسة موضوعية للآيات التي تناولت موضوع الإلحاد، وفق رؤية معاصرة. قصد الخلوص إلى طريقة مثلى ومنهجية منضبطة للتصدي لهذه الظاهرة. فهل تحدث القرآن الكريم عن الإلحاد بمفهومه المعاصر؟ وهل ذكر أصنافاً ممن ألحدوا عبر التاريخ؟ وما هو المنهج القرآني في الاستدلال على وجود الله؟ وما هو هدي القرآن في علاج هذه الظاهرة الخطيرة؟

وقد جاءت هذه الدراسة في خمسة مباحث كالتالي :

المبحث الأول: تناولت فيه مفهوم الإلحاد وأصناف الملحدين المذكورين في القرآن الكريم وأنواع الإلحاد المعاصر.

المبحث الثاني: أوجزت فيه نبذة عن انتشار الإلحاد في هذا العصر سواء في الغرب أو في الدول الإسلامية.

المبحث الثالث: ذكرت فيه طرق نشر الإلحاد ووسائله في القديم والحديث (في العهد الفرعوني وفي هذا العصر)

المبحث الرابع: ذكرت فيه منهج القرآن في إثبات وجود الله والتدليل عليه.

المبحث الخامس: حاولت من خلاله استنباط هدي القرآن العظيم في علاج الإلحاد من حيث الوقاية منه وكيفية التعامل مع الشبهات، وكيفية دعوة ومحاربة ونقد الملحدين.

المبحث الأول: مفهوم الإلحاد

المطلب الأول: مفهوم الإلحاد لغة واصطلاحاً

لغة: أصل اللحد في لغة العرب: الميل عن الاستقامة والعدول عنها، يقال: ألحد السهم عن الهدف عدل عنه، وألحد الرجل إذا مال عن طريقة الحق. ومنه قوله تعالى: {لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي} (النحل 103) يعني: يميلون إليه. ومنه اللحد في القبر لأنه مائل في أحد شقيه، والمُلْتَحِد وهو الملجأ الذي يميل إليه الإنسان، ويسمى الظلم والجور إلحاداً لأنه ميل عن العدل (ابن فارس، 1979، صفحة 5/236) (الفيومي، صفحة 2/550) (الفيروز آبادي، 2005، صفحة 1/317) (عبد الحميد، 2008، صفحة 3/1996)

اصطلاحاً: أصل الإلحاد في الشرع هو كل ميل عن الحق، فقد يكون في أصل الدين بالكفر بآيات الله والشرك به حتى يصل إلى إنكار وجود الله، وقد يكون بما دون ذلك من المعاصي والظلم والإفساد (الأصفهاني، 1412، صفحة 737) (الحمد، صفحة 8)

مثال الأول: قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَحْقُقُونَ عَلَيْنَا} (فصلت 40) وعبارات السلف متنوعة في تفسير الآية، فقليل: الإلحاد يكون بالتكذيب بها، وقليل: يكون بالاستهزاء، وقليل: بالعناد، وقليل: بالتحريف والتغيير. يقول ابن جرير: "وكل هذه الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك قريبات المعاني، وذلك أن اللحد والإلحاد: هو الميل" (الطبري، 2000، صفحة 21/478) فكل هذه الكفرات والشركيات داخلية في معنى الإلحاد بمفهومه العام. ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: {وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} (الأعراف 180) فإنه يعني به المشركين (الطبري، 2000، صفحة 13/282)

ومثال الثاني: قوله تعالى: {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ إِلْخَادٌ بِظُلْمٍ} (الحجر 25) فإنه يعم كل معصية، وفي الحديث: (احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه) (أبو داود، صفحة 2/212)، وكان عبد الله بن عمرو يقول: لا والله وبلى والله من الإلحاد فيه (الطبري، 2000، صفحة 18/602) ثم صار الإلحاد في العرف المعاصر يطلق على: مذهب عقدي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى (الميداني، 1991، صفحة 433) (الجهني، 1420، صفحة 2/803) (عواجي، 2006، صفحة 2/1003)

المطلب الثاني: أصناف الملحدين المذكورين في القرآن الكريم.

ذكر لنا القرآن الكريم ثلاثة أصناف من الملحدين، فرعون والنمرود والدهرية وبيّانهم

كالتالي:

أ. فرعون:

فكان ينكر وجود إله لهذا الكون، بل كان يقول لقومه: {أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} النازعات 24، و {مَا عَلِمْتُ لَكُمُ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} (القصص 38)، ولما جاءه موسى عليه السلام بالدعوة إلى الله قال: {وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ} (الشعراء 23) يعني: ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري؟ إنكرا له وجحدا، لهذا قال في تمام الكلام: {لَقِنْ أَتَّخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ} (الشعراء 29) (ابن تيمية، 1995، صفحة 16/535) (السعدي، 2000، صفحة 590) قال ابن كثير: "ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم؛ أن هذا سؤال عن الماهية، فقد غلط، فإنه لم يكن مقرا بالصانع حتى يسأل عن الماهية، بل كان جاحدا له بالكلية" (ابن كثير، 1999، صفحة 6/138)

ب. النمرود:

هكذا اشتهر اسمه على لسان كثير من المفسرين مع أنه لم يأت به خبر صحيح (الشعراوي، 1997، صفحة 2/1123)، قال تعالى حاكيا عنه: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ} (البقرة 258) أي: أن إبراهيم عليه السلام لما دعاه إلى الله قابله بالجحد والإنكار وطلب منه دليلا على وجود الله (رضا، 1990، صفحة 3/39). وهذا الذي حاجه وناظره فيه، قال ابن كثير في قوله: {حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ} "أي: في وجود ربه.. كأنه طلب من إبراهيم دليلا على وجود الرب الذي يدعو إليه" (ابن كثير، 1999، صفحة 1/686)

ج. الدهرية:

قال تعالى حاكيا عنهم: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ ﴾ (الجمانية 24) قال ابن جرير: " إنكارا منهم أن يكون لهم رب يفيهم ويهلكهم " (الطبري، 2000، صفحة 22/78)، فهم ملحدون ينكرون وجود الله تعالى. وقد ذكرهم الشهرستاني من أصناف معطلة العرب الذين ينكرون الخالق والبعث والإعادة (الشهرستاني، صفحة 3/79)

المطلب الثالث: أصناف الملحدين المعاصرين

يمكن تقسيم الإلحاد المعاصر باعتبارين، باعتبار ماهيته وحقيقته، وباعتبار الدافع إليه والباعث عليه.

فباعتبار ماهيته، ينقسم إلى قسمين :

أ. الإلحاد الإيجابي (Atheism) :

هو الذي يؤمن فيه الملحد بعدم وجود إله خالق لهذا الكون، وبالتالي يتنكر لجميع المعتقدات التي تؤمن بوجود الله، ولا يتدين بأي دين.

ب. الإلحاد السلبي أو اللادري (Agnosticism) :

وهو الذي لا يؤمن فيه الملحد بوجود إله خالق لهذا الكون، ولا يؤمن أيضا بعدم وجوده، فهو يقول لا أدري هل هو موجود أم لا، متوقف لا يثبت ولا ينفي. لكنه ملحد بهذا الاعتبار لأنه شاك في وجود الله سبحانه (العجيري، 2014، الصفحات 20،19)

أما باعتبار الدافع إليه فينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ. الإلحاد العاطفي:

وهو الذي دافعه استشكال للقدر، ومن أبرز الإشكالات "مشكلة الشر" حتى قيل إنها الحجة المركزية للملاحدة (سندي، 1445، صفحة 118) ويذكر أن دارون لما ألف كتابه (أصل الأنواع) وأسس نظرية التطور لم تكن سببا في إلحاده، حتى توفيت إحدى بناته ووقع تحت سطوة سؤال الشر والعدل الإلهي (العجيري، شموع النهار، 2016، صفحة 228)

ب. الإلحاد المادي النفعي الشهواني:

وهو الذي دافعه الرغبة الجارحة في الملذات والرتوع في الشهوات دون قيود، ويرى صاحبه أن الإيمان بالله يعكر عليه صفو اللذة فيحاول التخلص من تأنيب الضمير.

ج. الإلحاد العقلي العلمي:

والذي يستند زعما إلى نظريات علمية أو فلسفية، تفسر الكون والحياة دون الحاجة إلى وجود إله خالق. وهذا هو الغالب على الإلحاد المعاصر (سندي، الإلحاد، وسائله وخطره وسبل مواجهته، 2012، الصفحات 21، 22)

المبحث الثاني: انتشار الإلحاد في هذا العصر.

عرف الإلحاد انتشارا واسعا في هذا العصر على خلاف ما سبقه من العصور حتى صار سمة بارزة له، وفي البداية كان ظهوره في دول الغرب ثم تسرب إلى بلاد المسلمين .

المطلب الأول: انتشار الإلحاد في الغرب

لم يعرف الإلحاد في تاريخ البشرية كمذهب يتبعه أمة من الناس، أو كاعتقاد سائد في المجتمع، كما يذكر الشهرستاني (الشهرستاني، نهاية الإقدام في علم الكلام، 2009، صفحة 118)، حتى جاء العصر الحديث. ففي أواخر القرن 18م ثارت أوروبا على الكنيسة، وبوصول البلاشفة للحكم في روسيا حاربوا الدين حربا شعواء، فقتلوا المتدينين بمختلف أصنافهم وهدموا دور العبادة، وفي هذا الوقت برز أساطين الإلحاد في العالم الغربي من أمثال "ماركس" مؤسس الشيوعية، و"فرويد" مؤسس مدرسة التحليل النفسي، و"دوركايم" أحد أئمة علم الاجتماع، و"نيتشه" الفيلسوف الألماني، و"فولتير" الأديب الفرنسي وغيرهم... لكنه ما فتئ نجمه يأفل مع أواخر القرن العشرين وذلك بسقوط الاتحاد السوفيتي (الميداني، 1991، صفحة 77) (طلعت، 2017)

بقي الإلحاد في هذا الوقت حياديا تجاه الدين، فلم يعد عدائيا كما كان في السابق إلى أن جاءت حادثة الحادي عشر من سبتمبر 2001م، حيث غيرت نظرة الإلحاد إلى الدين، بل تسببت في بعث تيار الإلحاد من جديد وكانت نقطة تحول لدى كثير من أقطاب الإلحاد الجديد. ألف (سام هارس) كتبه الأول والذي يظهر مضمونه من عنوانه: (نهاية الإيمان.. الدين والإرهاب، ومستقبل

العقل) وصرح في نهاية الكتاب أنه ابتداء تأليفه من اليوم التالي للحادثة، وألف ريتشارد دوكينز كتابه (وهم الإله)، ثم تلتها كتب تدعو إلى الإلحاد صراحة وتتهجم على الأديان، بل حملة واسعة بشتي الوسائل (العجيري، ميليشيا الإلحاد، 2014، الصفحات 21-28).

المطلب الثاني: انتشار الإلحاد في الدول الإسلامية

موجة الإلحاد في العالم الإسلامي بدأت شرارتها بعد منتصف القرن التاسع عشر عندما بدأ يتصل بالعالم الغربي عن طريق البعثات الدراسية، ما تسبب في تأثر الطلاب بالفكر الأوروبي. في البداية كانت الدعوة إلى التحرر والتغريب، إلى أن ظهرت دعوات صريحة للإلحاد، وجاء ذلك تزامناً مع سقوط الخلافة العثمانية. فجاء مصطفى كمال أتاتورك فأنشأ دولة علمانية وحارب كل مظاهر التدين فراج على إثر ذلك الإلحاد والكفر، وظهرت عدة كتب تدعو إلى الإلحاد صراحة منها كتاب: (مصطفى كمال) لكاتب اسمه قابيل آدم.

ثم تلتها جراً ماثلة في مصر وظهر مفكرون يدعون إلى الإلحاد والتغريب باسم التنوير والنهضة الأدبية والحريات الفكرية، ومما ألف في ذلك كتاب إسماعيل أدهم: (لماذا أنا ملحد؟).. ثم انتقلت الحمى إلى باقي الدول الإسلامية (الجهني، 1420، صفحة 2/803) (السيف، 1435، الصفحات 6، 7).

ثم مع مطلع القرن الواحد والعشرين ومع أحداث الحادي عشر من سبتمبر حصلت ثورة إلحادية غير مسبقة، اتخذت فيها كل الوسائل للدعوة إلى الإلحاد والتبشير به ومهاجمة جميع الأديان على أنها خطر على المجتمعات ومصدر تهديد لها وزعزعة لأمنها. وبما أن العالم صار قرية صغيرة صار شباب المسلمين يتلقفون جميع ما يأتي من الغرب في ظل الانبهار بحضارتهم وسهولة وصول المعلومة وتنوع الوسائل الإلحادية.

المبحث الثالث: طرق نشر الإلحاد ووسائله في القديم والحديث

الصراع بين الحق والباطل قديم وهو باق إلى قيام الساعة، وقلوب المبطلين متشابهة. وهذا الباطل لا أساس له من الصحة فلا يمكن نشره إلا بالقوة، أو بالمخادعة وزخرف القول. وهذا ما حدثنا عنه القرآن الكريم من شأن فرعون، وتبعه على ذلك فراعنة هذا العصر .

المطلب الأول: في العهد الفرعوني

تقدم أن ممن حكى القرآن عنهم من أصناف الملحدين فرعون، وأنه لم يقتصر إلحاده على نفسه بل كان من أكبر دعاة الإلحاد، وقد حدثنا القرآن الكريم كيف كان يدعو قومه إلى الإلحاد، بالقوة تارة وباستخفاف العقول تارة أخرى.

أ. بالقوة:

حيث كان يرغب قومه على الإلحاد والشرك، وأي واحد تسول له نفسه ترك هذا الإلحاد فإن مصيره السجن أو القتل. يحكي القرآن أن فرعون لما جاءه موسى عليه السلام يدعو إلى الله عز وجل قال له: {لَئِنِ اتَّخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ} (الشعراء 29) فهدده وخوفه وأكد ذلك، أي أنه سيحصل لا محالة. وفي قوله: {مِنَ الْمَسْجُونِينَ} أي: في جملتهم، ما يدل أن هناك من سبقه إلى هذه السجون المرعبة التي يخوفه بها، وقد روي أن سجنه كان أشد من القتل وكان إذا سجن أحدا لم يخرج من سجنه حتى يموت، فكان مخوفا (القرطبي، 1964، صفحة 13/99) (ابن عاشور، 1984، صفحة 19/122) (العلماء، 2009، صفحة 368).

ويدل على هذا أيضا قول السحرة: {وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ} (طه 73) فقد صنعوا السحر مكرهين، ومارسوه مجبرين. "وما أكثر ما يكره الناس على أمور لا يرضونها، وينفذون أوامر وهم غير مقتنعين بها، خاصة في عصور الطغاة والجبارين" (الشعراوي، 1997، صفحة 15/9329)

ب. باستخفاف العقول وزخرف القول:

قال تعالى: {وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ} (51) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (52) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (53) فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا

فَاسِقِينَ} (الزخرف 51-54). احتج على صحة مذهبه بما عليه من التطور المادي وما عليه موسى من النقص (الطبري، 2000، صفحة 21/617) فاستخف عقولهم بما أبدى لهم من هذه الشبه السخيفة، والتي لا حقيقة تحتها، وليست دليلاً على حق ولا على باطل، ولا تروج إلا على ضعفاء العقول. فأى دليل يدل على أن فرعون محق، لكون ملك مصر له، وأثماره تجري من تحته؟ وأي دليل يدل على بطلان ما جاء به موسى لقلّة أتباعه، وثقل لسانه؟ لكنه لقي ملاً لا معقول عندهم، فمهما قال اتبعوه (السعدي، 2000، صفحة 767)

وقال تعالى أيضاً في وصف حاله وتلبسه على قومه: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ} (القصص 38) فهو يريد بهم أنه قد أحاط علمه بكل شيء، فحتى لو كان ثمة إله غيره لعلمه. قال ابن عاشور: "أراد أن يظهر لقومه في مظهر المتطلب للحق المستقصي للعالم حتى إذا أخبر قومه بعد ذلك بأن نتيجة بحثه أسفرت عن كذب موسى ازدادوا ثقة ببطلان قول موسى عليه السلام." (ابن عاشور، 1984، صفحة 20/122)

المطلب الثاني: في هذا العصر

سلك ملاحظة هذا العصر نفس أساليب فرعون، فعندما تمكنوا نشره بالقوة، وعندما تغيرت موازين القوى في العالم لجؤوا إلى أساليب أخرى :

أ. بالقوة والعنف:

عند الحديث عن نشر الإلحاد بالقوة في العصر الحديث مباشرة يسبق إلى الذاكرة ما فعله الاتحاد السوفيتي من قتل المتدينين وتعذيبهم وتشريدتهم، فكان الحزب الشيوعي الملحد هو المهيمن على الاتحاد وكان المؤسس والمنظر له عالم الاجتماع الشهير كارل ماركس الذي يقول: "الدين أفيون الشعوب". (والاتحاد السوفيتي هو اتحاد 16 دولة بقيادة روسيا) ويمثل دولة إلحادية محاربة للدين بشكل صريح وواضح.

بدأ العمل بالصحف والمجلات والمحاضرات والأفلام والمظاهرات لإقناع الشعوب بالإلحاد، ثم تحول بعد ذلك إلى العمل على القضاء على كل مظاهر الدين، فبحلول سنة 1940م كان

عشرات الآلاف من رجال الأوثوكس والآلاف من الرهبان والمؤمنين قد قتلوا أو توفوا في السجون، وفي هذه الفترة انخفض عدد الكنائس من قرابة 30 ألف كنيسة إلى أقل من 500.

أعلن ستالين عن ما سمي بالخطة الخمسية الموحدة من أجل القضاء نهائياً على كل أشكال الدين في الاتحاد السوفيتي وأعلن أن مفهوم الرب "الله" سوف يختفي من الاتحاد السوفيتي. في فترة الحرب العالمية الثانية خف نشاط هذه الحملات لحاجة الحكومة للجهد الجميع، لكن ما إن انتهت الحرب حتى عادت بدعوة الرئيس خروتشوف ولم تختلف الحملة عن سابقتها في القتل والتشريد والنفي. حتى سقوط الاتحاد السوفيتي 1991م. فهذا ما يحصل عندما يصل الإلحاد إلى السلطة. (السراي)

ب. القوة الناعمة:

كما سماها أحد المفكرين (الدوسري، 2014، صفحة 204). انبعث الإلحاد من جديد بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، لكنه هذه المرة استخدم القوة الناعمة التي تحترق جميع الحواجز وتصل إلى أبعد الحدود، واعتمد الأسلوب العلمي العقلي الذي يصل إلى جميع الشرائح. فمن وسائله:

الكتب: واعتمد في التأليف على التيسير والبساطة حتى يفهمها الجميع، ومن ذلك سلسلة الكتب الشهيرة (للأغبياء) **For Dummies** وتضمنت (الإلحاد للأغبياء) وترجمت للعربية بلفظ (للمبتدئين)، وسلسلة أخرى (كل ما تعرف عن.. خطأ) من ضمنها (كل ما تعرفه عن الله خطأ)، وكتاب (عدم الإيمان.. دليل شخصي للإلحاد للشباب) وغيرها كثير. ومنها ما هو موجه للصغار مثل: (إني أتساءل) لأناكا هارس، وسلسلة (الكون يخبرنا عن أرضنا) وريتشارد دوكنز أيضاً ألف كتاباً للمراهقين والأطفال (سحر الحقيقة.. كيف نعرف ما هو حقيقة فعلاً) وكتاب (تربية الأطفال بعيداً عن الإيمان). ومن عناوين هذه الكتب يظهر الهدف منها.

البرامج الفضائية والإذاعية: ومن ذلك برامج حوارية وأفلام تعليمية ووثائقية، وحتى أفلام ترفيهية تبني على أفكار إلحادية مثل (رجل من الأرض) (الغروب المحدود) (اختراع الكذب) وهذا الأخير يروج لفكرة أن الدين والآخرة وما بعد الموت كذبة مختلقة من طرف الإنسان. ولريتشارد دوكنز عدد من الأفلام الوثائقية تحت سلسلة بعنوان (جذور الشرور كلها) تضمنت حلقة (وهم الإله) و(فيروس

الإيمان) بالإضافة إلى أعمال أخرى، وكذلك كان كثير من الممثلين المشاهير ملاحدة ولهم حماس في الدعوة إلى إلحادهم.

ومع تطور هذه الوسائل الحديثة فكل هذه المنتجات تصل إلى أبناء المسلمين وبكل سهولة. الأغاني والفيديوكليبات: فعلى سبيل المثال أغنية (تخيل) التي تقول كلماتها: (تخيل أنه لا جنة، إنه سهل إذا حاولت.. ومنها) (الكذبة البشعة) (أنا لست خائفاً) (سلام الملحد) (الدين السيء) (عدم الإيمان) وغيرها الكثير والتي يظهر من عناوينها ما تحويه من الدعوة إلى الإلحاد وتزيينه.

مؤسسات إلحادية: معنية بالدعوة إلى الإلحاد ورعاية الملحدين، ومن ذلك: (التحالف الدولي للملاحدة)، (رابطة الملاحدة)، (مؤسسة ريتشارد دوكنز لدعم العقل والعلم)، (الرابطة الدولية لغير المتدينين والملحدين)

مواقع على شبكة الإنترنت: وهذه كثيرة جداً منها ما هو فردي ومنها ما هو جماعي، على مختلف مواقع التواصل، ومنها ما هو مخصص للأطفال والمراهقين، ويقدم توجيهات للوالدين في تربية أولادهم على الإلحاد.

حملات اجتماعية: وهي دعوات تشجيعية للناس لإظهار إلحادهم، ومن أشهرها المبادرة التي أطلقها ريتشارد دوكنز (حملة الخروج) يدعو فيها الملاحدة للخروج للعلن وحكاية تجاربهم مع الإلحاد وإبراز هويتهم عبر لباس خاص. ومنها مبادرة موقع (نحن الإلحاد) والذي يشكل شبكة اجتماعية واسعة للملاحدة، عن طريق نشر الصور والمقاطع وتقديم نصائح وإرشادات. ومن ذلك اللوحات الدعائية في الشوارع، ووضع العبارات الإلحادية على الباصات، مثل عبارة (لا تؤمن بالله؟ انضم إلى النادي) (العجيري، ميليشيا الإلحاد، 2014، الصفحات 28-42) (الدوسري، 2014، صفحة 193)

كل هذه الحملة كان سببها خطأ قام به أفراد مجهولون نُسبوا زوراً وبهتاناً إلى الإسلام، لكن هؤلاء الملاحدة لم يربعهم الملايين الذين قتلوا من السكان الأصليين للولايات المتحدة الأمريكية (الهنود الحمر)، ولا الملايين الذين قتلوا في الحرب العالمية، ولا الملايين الذين قتلوا من الاتحاد السوفيتي باسم الإلحاد نفسه. لكنه الكفر والطغيان، يريدون أن يستعلوا على عباد الله باسم الإلحاد، حتى فكرة أن ثمة إله فوقهم لا يريدون تقبلها، فهم مثل فرعون تماماً.

المبحث الرابع: منهج القرآن في إثبات وجود الله.

استعمل القرآن الكريم دليلين قويين واضحين على الاستدلال على وجود الله، دليل الفطرة

ودليل العقل:

أ. دليل الفطرة:

قال تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} الروم 30 وفطرة الله هي توحيد الله، ومعنى أن الله لا يبدلها، أي لا يخلق الناس على غيرها، لكن الخلق هم من قد يبدلونها (جزى، 1416، صفحة 2/133). ومعنى هذه الفطرة: أن الله سبحانه وضع في عقولهم حسن الإيمان والتوحيد والميل إليه، واستقبحا غيره (السعدي، 2000، صفحة 640)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وإذا قيل: إنه ولد على فطرة الإسلام، أو خلق حنيفاً ونحو ذلك. فليس المراد به أنه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريد به. فإن الله تعالى يقول: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا} (النحل 78)، ولكن فطرته مقتضية موجبة لدين الإسلام، لمعرفته ومحبته. فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبته وإخلاص الدين له، وموجبات الفطرة ومقتضاها تحصل شيئاً بعد شيء، بحسب كمال الفطرة، إذا سلمت عن المعارض" (ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، 1991، صفحة 8/383).

ومما يوضح هذه الفطرة أكثر قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} (الأعراف 172)، هذه الآية وإن كان فيها قولان معروفان لأهل التفسير إلا أنهما متلازمان، فقول معنى {وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ}: قررهم بإثبات وجوده وربوبيته، بما أودعه في فطرهم من الإقرار بأنه ربهم وخالقهم ومليكنهم (ابن كثير، 1999، صفحة 3/500) (السعدي، 2000، صفحة 308)، وقيل: إن الله أخرج جميع ذرية آدم في صورة الذر وكلهم قبلاً وأخذ عليهم هذا العهد، وهذا قول جمهور المفسرين وبه جاءت الأحاديث (الطبري، 2000، صفحة 550 وما بعدها/6). يقول الواحدي نقلاً عن ابن الأنباري: "مذهب أصحاب الحديث وكبراء أهل العلم في هذه الآية هو: أن الله عز وجل أخرج ذريات آدم من صلبه وأصلاّب أولاده، وهم في صور الذر،

وأخذ عليهم الميثاق أنه خالقهم وأنهم مصنوعوه، فاعترفوا بذلك وقبلوا، وذلك بعد أن ركب فيهم عقولاً عرفوا بها ما عرض عليهم" (الواحدى، 1430، صفحة 9/448). وعلى هذا تكون الفطرة من بقايا أثر ذلك الأخذ والإشهاد، فالإنسان وإن نسي ما وقع من هذا الإشهاد إلا أن الفطرة هي بقية الأثر الحاصل في النفس من أثر هذا الإشهاد (العجيري، شموع النهار، 2016، صفحة 29)

ولقوة هذا الدليل وحضوره في النفس وسهولته استعملته الرسل في محاجة أقوامها، قال تعالى: { قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ } (إبراهيم 10) والمعنى: أفي وجوده شك؟ فإن الفطر شاهدة بوجوده، ومجبولة على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة. (ابن كثير، 1999، صفحة 4/482)

لكن هذه الفطرة قد يحصل لها ما يغيرها كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه) (البخاري، 1422، صفحة 2/94) فحينئذ يحتاج إلى النظر والاستدلال. يقول شيخ الإسلام: "العلوم الفطرية الضرورية حاصلة مع صحة الفطرة وسلامتها، وقد يعرض للفطرة ما يفسدها ويعرضها فترى الحق باطلاً، كما في البدن إذا فسد أو مرض فإنه يجد الحلو مرراً ويرى الواحد اثنين فهذا يعالج بما يزيل مرضه. والقرآن فيه شفاء لما في الصدور من الأمراض" (ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، 1991، صفحة 3/306)

ب. الدليل العقلي: وهو على نوعين، دليل الخلق ودليل العناية:

دليل الخلق:

ويعبر عنه بدليل الحدوث والاختراع والإيجاد والدليل الكلامي والدليل الكوني والدليل الكوزمولوجي ومعناه أن ما وجد بعد عدم فلا بد له من موجد، وأن ما كان ممكناً فهو مفتقر إلى وجود واجب أحدثه (العجيري، شموع النهار، 2016، صفحة 95)

وهذا دليل واضح يفهمه كل أحد، وقد جاء التعبير عنه في قوله تعالى: { أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ } (الطور 35) فإن المتقرر في العقل أن الخلق لا يخلو من أحد ثلاثة أمور: إما أن هذا الخلق والموجودات خلقوا من غير شيء أي: لا خالق خلقهم، بل وجدوا من غير موجد، وهذا محال، أم أنهم هم الخالقون لأنفسهم، وهذا أيضاً محال، ولا يتصور أن يوجدوا أنفسهم بأنفسهم لأنهم كانوا عدماً، فإذا بطل هذان الأمران، وظهر استحالتهم، تعين الاحتمال الثالث وهو أن الله هو الذي خلقهم (القيم، 1408، صفحة 2/494) (السعدي، 2000، صفحة 816)



ومما جاء في تأثير هذه الآية على النفوس ما روي عن جبير بن مطعم رضي الله عنه إذ يقول: "سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْفُونَ (36) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِرُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ} الطور 35-37 قال: كاد قلبي أن يطير" (البخاري، 1422، صفحة 6/140)

دليل العناية:

ويعبر عنه بدليل النظم والإحكام، والتصميم، والإتقان، والرعاية (العجيري، شموع النهار، 2016، صفحة 172) ومعناه أن ما في جميع المخلوقات من النظم والإتقان والدقة رغم التنوع والكثرة يدل دلالة واضحة قطعية أن ثمة من خلقها، فإذا تأمل الإنسان في الشمس والقمر والليل والنهار وما فيها من النظم والدقة والمنافع ونظر إلى الحيوانات من الطيور والحيتان والدواب وإلى تنوعها ومناسبة كل مخلوق لمنافعه ومصالحه ونظر إلى كيفية عيشه والسعي في مصالحه، ومن تأمل أيضا في نفسه وما فيها من التعقيد والدقة والمناسبة.. علم يقينا وقطع جزما أنه لا بد من وجود خالق قدير عليهم حكيم خلق كل هذا. (ابن رشد، 1998، صفحة 118)

وللنظر في آيات الله والاستدلال بها على وجوده سبحانه طرق كثيرة، وأشهرها طريقتان:

الطريق الأول: النظر في آيات الله في خلق النفس البشرية وهو ما يعرف بـ (دلالة الأنفس)، كما في قوله تعالى: {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} (الذاريات 21) {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا} (الشمس 7).

الطريق الثاني: النظر في آيات الله في خلق الكون وما يحويه من مخلوقات وهو ما يعرف بـ (دلالة الآفاق)، كما في قوله تعالى: {سَرَّيْهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (فصلت 53) وغيرها من الآيات الكثيرة. (العلماء، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، 1421، صفحة 12)

وهذا الدليل له تأثير عظيم في النفوس وهو الذي حدى بكثير من الملاحدة على الرجوع والعودة، فعلى سبيل المثال (أنطوني فلو) الفيلسوف البريطاني الذي كان ملحدا متعصبا وقدم عددا من الأوراق البحثية الإلحادية وله مناظرات في ذلك، رجع في آخر أمره بسبب هذا الدليل وقال في كتابه (هناك إله) عن حجة التصميم: "حجة مقنعة في قضية وجود الله" (العجيري، شموع النهار،

(2016، صفحة 174)، ويقول (جيمس جينز) عالم الفلك والفيزياء المشهور: "عندما ألقى نظرة على روائع خلق الله يبدأ وجودي يرتعش من الجلال الإلهي" (خان، صفحة 204)

لذلك نجد القرآن الكريم يعتني بهذا الدليل ويورده كثيرا ويدعو إلى التفكير في ملكوت السماوات والأرض، يقول الله تعالى: {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} (الأعراف 185)، وهكذا كان السلف يعظمون عبادة التفكير والتأمل، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: تفكر ساعة خير من قيام ليلة. ولما سئلت أم الدرداء رضي الله عنها: ما كان أفضل عمل أبي الدرداء رضي الله عنه؟ قالت: التفكير والاعتبار (الطيبار، 1433، صفحة 669)

المبحث الخامس: هدي القرآن في علاج الإلحاد

لا يوجد أفضل ولا أنجع من هدي القرآن الكريم في علاج الإلحاد وسائر أمراض الشبهات والشكوك، فهو كتاب أنزله الله سبحانه شفاء لما في الصدور. وقد تناول هذه الظاهرة بأحسن بيان وأفضل علاج، نوجزها في النقاط التالية:

المطلب الأول: الوقاية منه

إن ظاهرة الإلحاد باتت خطرا يهدد المجتمعات ولا تستثني أحدا، فلا ينبغي أبدا تسطيحها أو التقليل من شأنها، وهذا ما يؤكد أكثر تحصين الناس خاصة الشباب من الشبهات بترسيخ الإيمان في نفوسهم وتحذيرهم من هذه الدعوات الإلحادية والتي في ظاهرها تزين بالانفتاح العلمي وإعمال العقل وفي باطنها السم القاتل. وللوقاية منه لابد من التسلح بالعلم، والحذر من الشبهات.

أ. التحصين العلمي وترسيخ الإيمان في النفوس:

الآيات والأحاديث التي تدعو إلى طلب العلم كثيرة جدا، وأعظم ما يعلم وجاء الحث عليه في النصوص هو العلم بالله سبحانه. يقول الله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} (محمد 19) ويقول: {اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (الحديد 17) ويقول: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} (فاطر 28) ويقول: {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ} (العنكبوت 20)



ففي هذه الآيات وغيرها دعوة صريحة وحث على طلب العلم والتحصن به، وتشجيع على السير في الأرض والتأمل في مخلوقات الله لترسيخ الإيمان. فلا يقتصر الأمر على العلوم الشرعية فحسب، بل جميع التخصصات التي فيها بيان لعظمة الله واكتشاف لما أبدعه في هذا الكون الفسيح مما يزيد من تعظيم الله في النفوس وترسيخ الإيمان وتقويته مطلوب ومرغّب فيه.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "إن الشياطين قالوا لإبليس: يا سيدنا ما لنا نراك تفرح بموت العالم ما لا تفرح بموت العابد؟ فقال: انطلقوا. فانطلقوا إلى عابد قائم يصلي فقالوا له: إنا نريد أن نسألك، فانصرف، فقال له إبليس: هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة؟ فقال: لا، فقال: أترونه؟ كفر في ساعة، ثم جاء إلى عالم في حلقة يضاحك أصحابه ويحدثهم، فقال: إنا نريد أن نسألك، فقال: سل، فقال: هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة؟ قال: نعم، قال: وكيف؟ قال: يقول لذلك إذا أراد: كن فيكون، قال إبليس: أترون ذلك؟ لا يعدو نفسه، وهذا يفسد علي عالما كثيرا" (ابن عبد البر، 1994، صفحة 1/127)

ب. الحذر من الاستماع لأصحاب الشبهات:

ليس المقصود هنا أن الإنسان يجمد عقله ويقنع بالإيمان التقليدي كما يقال، لكن المقصود بيان خطر هذه الشبهات خاصة إذا كان الإنسان غير مسلح بالعلم الرصين، يقول الذهبي رحمه الله: "أكثر أئمة السلف على هذا التحذير، يرون أن القلوب ضعيفة، والشبه خطافة" (الذهبي، 1985، صفحة 7/261) لأن أهل الزيغ يتفننون في تزوين الشبهات، وقد يستدلون بآيات من القرآن الكريم، أو بنظريات علمية، وينمقون العبارة بما ينطلي على أصحاب القلوب الضعيفة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} (آل عمران 7) قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم) (البخاري، 1422، صفحة 6/33) (مسلم، صفحة 4/2053) وفي هذه الآية يخبر تعالى أن الزيغ موجود أولا ثم يتطلبون الدليل عليه (الشعراوي، 1997، صفحة 2/1279)، لذلك تجدهم يتشبثون

بكل دليل يظنون أنه يسعفهم على إلحادهم وزيفهم، لكنه عند التأمل أبعد ما يكون عما يذهبون إليه .

فجميع ما يستدل به الملحدون على إلحادهم إنما هو اكتشاف لما أبدع الله في هذا الكون الفسيح. فعلى سبيل المثال؛ نظرية دارون والتي تُقدم كأشهر نظرية لتفسير هذا الوجود في العالم الغربي، التطور الذي طرحه له حد ينتهي إليه، فهذا دوكنز نفسه في أحد حواراته يسأله المحاور: "ألم يكن في مخيلتك أن ثمة احتمالية ولو ضئيلة أن يكتشف أحد الفيزيائيين مستقبلا الله في أحد هذه الأبعاد؟" فأجاب: "أنا مقتنع أن الفيزيائيين مستقبلا سيكتشفون شيئا مذهشا كأني إله يمكنك تخيله" (العجيري، شعور النهار، 2016، صفحة 238). هذا، مع ما تثيره هذه النظرية من جدل علمي وانتقادات واسعة في المجتمع الغربي نفسه (العجيري، شعور النهار، 2016، صفحة 237)

ورغم سطحية ما يطرحه الملحدون الجدد إلا أننا نجد كثيرا من الناس قد اغتر بهم، لذلك وجب الحذر، فهذا كتاب (وهم الإله) لريتشارد دوكنز مثلا يقول عنه مايكل روس: "كتاب (وهم الإله) جعلني أشعر بالحنج من كوني ملحدا" لسطحيته وسخافته (العجيري، ميليشيا الإلحاد، 2014، صفحة 56)، لكنه مع ذلك حظي بترجمات متعددة وبيع منه من وقت ظهوره 2006م إلى 2010م أكثر من مليوني نسخة وظل على قائمة النيويورك تايمز للكتب الأكثر مبيعا لمدة 51 أسبوعا (العجيري، ميليشيا الإلحاد، 2014، صفحة 25). وهذا يشبه تماما ما قصه الله عن قوم فرعون في قوله: {فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ} الزخرف 54. فمع سخافة ما يطرحه إلا أنه وجد آذانا صاغية ومتقبلة لما يقول.

فالمسلم لا يكون بهذه السذاجة، وإنما يكون كما نصح شيخ الإسلام تلميذه ابن القيم: "لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة فيتشربها فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته" (ابن القيم، صفحة 1/140). وهذا لا شك يكون بالعلم النافع الراسخ المبني على الأدلة العقلية والعقلية.

المطلب الثاني: التعامل مع الشبهات

الشبهات التي ترد على الإنسان قد تكون شبهات حقيقية تحتاج إلى كشف وجواب، وقد تكون من قبيل الوسواس التي لا أساس لها، ولكل حالة الطريقة المناسبة للتعامل معها.

الحالة الأولى :

قد يرد على الإنسان شبهات لا يعرف الجواب عنها، خاصة في ظل الثورة المعلوماتية الهائلة في هذا العصر، وفي ظل النشاط الهائل في نشرها. فلا يجوز للمسلم أبدا التهاون بها بل لابد من إيجاد الجواب عنها بالبحث أو سؤال أهل العلم، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل 43) فهذه قضية من قضايا العقيدة التي لطالما شغبت حولها المشركون وهي كون الأنبياء بشرا مثل باقي الناس كما قال تعالى: ﴿ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ (الإسراء 94) فأرشدهم الله سبحانه إلى أن يسألوا أهل العلم الذين أوتوا البينات والزبر - على أن الجار والمجرور متعلق بأهل الذكر - والبيانات هي الآيات الكونية والزبر هي الآيات الشرعية (الشعراوي، 1997، صفحة 13/7952)

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (يونس 94)

الحالة الثانية:

وقد تكون هذه الشبهات مجرد وسواس من الشيطان لا ينبغي الانجرار وراءها، والعلاج النبوي لها هو الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، وذكر الله والانتفاء عن التفكير فيها. لأن مثل هذه الإشكالات وإن كانت لها إجابات، لكن الشيطان يفتح على الإنسان من خلالها باب الوسواس فيغرقه في بحر من الأسئلة التي لا نهاية لها .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل: (آمنت بالله ورسله)، وفي لفظ آخر: (يأتي شيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟! فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته)، وفي لفظ آخر: (يوشك الناس

يتساءلون بينهم حتى يقول قائلهم: هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله عز وجل؟ فإذا قالوا ذلك، فقولوا: (الله أحد، الله الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد) ثم ليتفل أحدكم عن يساره ثلاثا، وليستعد من الشيطان) (البخاري، 1422، صفحة 4/123) (مسلم، صفحة 1/120) وخلاصة ذلك أن يقول: آمنت بالله ورسله، الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد. ثم يتفل عن يساره ثلاثا، ويستعيز بالله من الشيطان، ثم ينتهي عن الانسياق مع الوسوسة. (الألباني، 2002، الصفحات 234-1/236)

المطلب الثالث: المجادلة بالتي هي أحسن

لا شك أن من غرق في هذا المستنقع لا يجوز تركه يهلك، بل لابد من إنقاذه قدر المستطاع مهما كان حاله، سواء كان مسلما فارتد - وهذا حقه أوكد - أو كان كافرا أصليا. يقول الله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (النحل 125) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (والله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم) (البخاري، 1422، صفحة 4/47) (مسلم، صفحة 4/1872)

فلا بد من محاورته ومجادلته بالتي هي أحسن، ولنا في نبي الله موسى عليه السلام أعظم عبرة، فهذا فرعون الذي بلغ من الكفر والعناد والعتو والاستكبار ما بلغ ومع ذلك يقول الله سبحانه له: {اذْهَبْ أَنْتَ وَأُخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي} (42) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى {طه 42-44}

ومن هذه الآية نستنبط أربع وسائل مهمة جدا في محاوره الملحدين والمنحرفين ودعوتهم والرد عليهم، وهي كالتالي:

1. التعاون: من قوله: { أَنْتَ وَأُخُوكَ } وموسى عليه السلام لما رأى من أخيه الفصاحة والقوة ورأى من خصمه الطغيان والجبروت طلب من الله سبحانه أن يبعث مع أخاه هارون ليكون ردها له ومعينا لمواجهة فرعون، وهكذا في محاوره الملحدين، خاصة مع تنوع تخصصاتهم وتعدد شبهاتهم، فلا بد من تضافر الجهود كل حسب موقعه وتخصصه.



2. التسلح بالأدلة والبراهين: في قوله: { يَا أَيَّتُهَا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ } يعني: بأدلتني وبراهيني وحججي ومعجزاتي (ابن كثير، 1999، صفحة 5/294) وهذه قضية واضحة، أما إذا كان الإنسان ضعيفا مترعزعا فإنه سيفسد أكثر مما يصلح، وإذا كان الحوار أو المناظرة على مالأ من الناس فإنه سيدخل الشك في نفوسهم ويفتنهم.

3. الاعتصام بالله والاستعانة به والإكثار من ذكره: في قوله: { وَلَا تَبْتَغُوا فِي دَعْوَانَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ } يعني: لا تضعفوا ولا تفتروا عنه، لأن إدامة ذكر الله والإكثار منه يقوي العزيمة ويثبت الداعية، وفيه معونة على جميع الأمور، يسهلها ويخفف حملها. (الطبري، 2000، صفحة 18/312) (السعدي، 2000، صفحة 506) وإذا كان الرد على الملحدين والمنحرفين ومناظرتهم من الجهاد في سبيل الله فإن الله سبحانه يقول: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (الأنفال: 45).

4. التلطف واللين: في قوله: { فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا } أي: بكلام رقيق لين قريب سهل، ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع، وحتى يعطى الفسحة لسماع الحجج وفهمها (الشعراوي، 1997، صفحة 15/9276) وهذه قضية مهمة جدا، خاصة وأن السمة الغالبة على الإلحاد المعاصر العداء تجاه الدين والسخرية من المتدينين واحتقارهم، حتى قال سكوت هان وبنجمن وكر: "ذهبت أيام الإلحاد المؤدب" (العجيري، ميليشيا الإلحاد، 2014، صفحة 43) وهم في الحقيقة لم يفهموا الإسلام فهما صحيحا وأخذوا نظرة عنه أنه دين إرهاب وعنف من خلال أخطاء فردية لا تمت للدين بصلة. فلا بد من مقابلة استفزازهم بالصبر واللين والحكمة وتوضيح الأمور لهم.

الخاتمة:

من خلال هذه الجولة في تناول الإلحاد من المنظور القرآني وفق رؤية معاصرة نستخلص ما

يلي:

- الإلحاد من المنظور القرآني أعم مما هو شائع في هذا العصر، إذ يعم جميع الانحرافات، ثم صار المقصود به في الإطلاق المعاصر إنكار وجود الله.
- تحدث القرآن الكريم عن الإلحاد بمفهومه المعاصر وذكر ثلاثة أصناف من الملحدّين: فرعون، والنمرود، والدهرية .
- الدوافع إلى الإلحاد في هذا العصر لا تقتصر فقط على الشبهات العلمية والفلسفية، بل من الدوافع أيضا العاطفة تجاه الشر الذي يحدث في العالم، والتخلص من تأنيب الضمير الذي يعكر التلذذ بالخرمات. كما أن من الإلحاد ما هو إيجابي ومنه ما هو سلبي لا يثبت ولا ينفي.
- طرق نشر الإلحاد في هذا العصر هي نفسها طرق فرعون من استعمال القوة واستخفاف العقول.
- الدليل القرآني في إثبات وجود الله دليل مقنع وواضح، يخاطب الفطرة والعقل ويتقبله كل أحد، فهو يخاطب جميع المستويات.
- هدي القرآن في علاج الإلحاد يعلمنا الوقاية منه أولا بالتسلح بالعلم النافع والحذر من الشبهات، وإذا وقعت فلا بد من السعي في كشفها وإزالتها.
- نستفيد من منهج موسى عليه السلام في دعوته لفرعون الملحد الطريقة المثلى في دعوة الملحدّين ومناظرتهم والرد عليهم، وذلك بالتعاون وتضافر الجهود، والتسلح بالأدلة والبراهين المقنعة، واستعمال اللين والحكمة، وقبل ذلك وبعده اللجوء إلى الله والاستعانة به والإكثار من ذكره ودعائه.

قائمة المراجع:

1. أحمد ابن فارس. (1979). مقاييس اللغة. دار الفكر.

2. أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية. (1991). درء تعارض العقل والنقل. المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
3. أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية. (1995). مجموع الفتاوى. المدينة النبوية: مجمع الملك فهد.
4. أحمد بن محمد الفيومي. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. بيروت: المكتبة العلمية.
5. أحمد بن ناصر الطيار. (1433). حياة السلف بين القول والعمل. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي .
6. أحمد مختار عبد الحميد. (2008). معجم اللغة العربية المعاصرة. عالم الكتب.
7. إسماعيل بن عمر ابن كثير. (1999). تفسير القرآن العظيم. دار طيبة.
8. الحسين بن محمد الأصفهاني. (1412). المفردات في غريب القرآن. دمشق - بيروت: دار القلم - الدار الشامية.
9. مسلم بن الحجاج. المسند الصحيح المختصر . بيروت: دار إحياء العربي.
10. سليمان بن الأشعث أبو داود. سنن أبي داود. بيروت: المكتبة العصرية.
11. صالح بن عبد العزيز سندي. (2012). الإلحاد، وسائله وخطره وسبل مواجهته. لبنان: دار اللؤلؤة.
12. صالح بن عبد العزيز سندي. (1445). مراقبي الوعي. المدينة النورة: مؤسسة يقين الوقفية.
13. عبد الرحمن بن حسن الميداني. (1991). كواشف زیوف. دمشق: دار القلم.
14. عبد الرحمن بن ناصر السعدي. (2000). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مؤسسة الرسالة.

15. عبد الله بن صالح العجيري. (2016). شموع النهار. المملكة العربية السعودية: تكوين للدراسات والأبحاث.
16. عبد الله بن صالح العجيري. (2014). ميليشيا الإلحاد. المملكة العربية السعودية: تكوين للدراسات والأبحاث.
17. علي بن أحمد الواحدي. (1430). التفسير البسيط. السعودية: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
18. عائض بن سعد الدوسري. (2014). عقولنا تحت القصف. المملكة العربية السعودية: تكوين للدراسات والأبحاث.
19. غالب بن علي عواجي. (2006). المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها. جدة: المكتبة العصرية الذهبية.
20. مانع بن حماد الجهني. (1420). الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. دار الندوة العالمية.
21. محمد الطاهر بن محمد ابن عاشور. (1984). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية.
22. محمد بن إبراهيم الحمد. مصطلحات في كتب العقائد. دار بن خزيمة.
23. محمد بن أبي بكر ابن القيم. (1408). الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعتلة. الرياض: دار العاصمة.
24. محمد بن أبي بكر ابن القيم. مفتاح دار السعادة. بيروت: دار الكتب العلمية.
25. محمد بن أحمد ابن جزي. (1416). التسهيل لعلوم التنزيل. بيروت: دار الأرقم ابن أبي الأرقم.
26. محمد بن أحمد ابن رشد. (1998). الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة. بيروت.
27. محمد بن أحمد الذهبي. (1985). سير أعلام النبلاء. مؤسسة الرسالة.
28. محمد بن أحمد القرطبي. (1964). الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الكتب المصرية.

29. محمد بن إسماعيل البخاري. (1422). الجامع المسند الصحيح. دار طوق النجاة.
30. محمد بن جرير الطبري. (2000). جامع البيان في تفسير القرآن. مؤسسة الرسالة.
31. محمد بن عبد الكريم الشهرستاني. الملل والنحل. مؤسسة الحلبي.
32. محمد بن عبد الكريم الشهرستاني. (2009). نهایة الإقدام في علم الکلام. مكتبة الثقافة الدينية.
33. محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. (2005). القاموس المحيط. بيروت - لبنان: مؤسسة الرسالة.
34. محمد رشيد رضا. (1990). تفسير المنار. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
35. محمد متولي الشعراوي. (1997). تفسير الشعراوي. مطابع أخبار اليوم.
36. محمد ناصر الدين الألباني. (2002). سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. الرياض. دار المعارف.
37. ناصر بن سعيد السيف. (1435). ظاهرة الإلحاد في المجتمعات الإسلامية.
38. نخبة من العلماء. (1421). أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة. المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد .
39. نخبة من العلماء. (2009). التفسير الميسر. السعودية. مجمع الملك فهد.
40. وحيد الدين خان. الإسلام يتحدى. مكتبة الرسالة.
41. يوسف بن عبد الله ابن عبد البر. (1994). جامع بيان العلم وفضله. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي.
42. رشيد السراي. عندما يكون الإلحاد دولة. موقع كتابات في الميزان.
43. هيثم طلعت. (2017). كيف ظهر الإلحاد ومتى ظهر . صفحة كهنة الإلحاد على الفيسبوك.